# الجنس العربي في جزيرة العرب، وليس الجنس السامي

## أ ـ جغرافية الجنس العربي:

ما وضعنا حدوده، تحت اسم الجزيرة العربية، وأثبتنا وأكدنا بالأدلة: أنها تضم ما يسمى اليوم دول الخليج العربي واليمن والعراق، ودول بلاد الشام (فلسطين، والأردن، وسورية، ولبنان)، وتشمل بلاد مصر إلى حدود نهر النيل: هذا الوطن الأصلي للجنس العربي، الذي يضمُّ الجذور والفروع، أو هو موطن «الدوحة العربية». ولكن ذلك لا يمنع وجود العرب خارج هذه الحدود، فبلاد مصر على الضفة الأخرى لنهر النيل سكنها الجنس العربي. وبلاد المغرب العربي سكنها الجنس العربي.

## ب ـ مَن الشعوب التي تنتمي إلى الجنس العربي؟

هي الشعوب التي تجذرت ونبتت وعاشت داخل حدود الجزيرة العربية كما حددناها سابقاً: الكنعانيون، والفينيقيون[1]، والآموريون، والآشوريون، والآراميون، والسبئيون، والفراعنة المصريون، والمدينيون، والعرب منذ ظهر هذا الاسم.. والإسرائيليون إذا كانوا من نسل إبراهيم الخليل[2].

## جـ ـ أين الشعوب العربية التي كوّنتْ مجموعة «الجنس العربي»؟

إننا نطوّف في جميع أرجاء الجزيرة العربية، فلا نجد لهم ذكراً، ولم يبق منهم إلا اسم «العرب».. هل بادوا كما تقول كتبُ التاريخ؟ حيث صنفوا العرب: إلى العرب البائدة، والعرب الباقية؟

---

(1) أطلق الإغريق ـ ابتداءً من القرن التاسع ق.م في ملحمة الأوديسة، اسم: «فينيقيون» على بعض الكنعانيين من سكان الساحل الشامي (صيدون، وصور إلخ..) مع أن التسمية غير واردة في كتاباتنا القديمة، وإنما نجد التسمية الكنعانية دائماً.

(2) قلت: الإسرائيليون من نسل إبراهيم. أما اليهود القدماء، واليهود المعاصرون، فليسوا من نسل إبراهيم، وأول ما ظهر اسم اليهود في العهد الفارسي، وادعوا النسبة إلى بني إسرائيل، وهم أشتات مرتزقة، كتبوا التوراة، وادعوا النسبة.

الجواب: ليس هناك عربٌ بائدة، وعربٌ باقية، والصحيح أن الشعوب تتشعب، والأسماء تتجدد، ويدخل القديم في الجديد ويأخذ اسمه. وربما نقول: يدخل الأقل في الأكثر، والمغلوب في الغالب. وقد تتابع وجود هذه الشعوب في بلاد الشام والعراق من جزيرة العرب، كلما ساد شعب، غلب اسمه على البلاد، وغاب اسم الشعب السابق، دون أن يمحو أو يبيد اللاحقُ السابق، وإنما يحصل الاختلاط والتزاوج والاندماج بين الشعبين، وعندما جاء العرب المسلمون، وطردوا الروم من الشام، والفرس من العراق، غلب اسم العرب على جميع المسميات، ودخل الناسُ جميعاً في العروبة، كما دخلوا في الدين الجديد الذي حمله إليهم العرب. وصار كما قيل: «كلُّ الصيد في جَوْف الفَرَا». ففي عرب الشام والعراق اليوم عروق العرب الكنعانيين والآراميين والآشوريين.. إلخ.

وظاهرة غياب الأسماء القديمة، وتفرعها إلى أسماء جديدة، ثم اندماجها في غيرها.. ظاهرة دائمة عبر التاريخ. فإذا استرجعنا الأسماء الكبيرة التي كانت شائعة في صدر الإسلام، نجد أنها قد غابت عن الساحة العربية، فهل نقول: إنها قد بادت وفنيت؟! فأين «قريش» التي كانت سيدة العرب؟ وأين الأنصار والمهاجرون؟ وأين الأوس والخزرج؟ وأين بنو تميم، وطيِّئ؟ لقد غابت هذه الأسماء اللامعة في التاريخ، ولكن جذورها وفروعها لم تبد، فهي باقية فيما تلا ذلك من المسميات العربية، وأخذت أسماء جديدة.

**د ـ هجرةٌ عربية إلى بلاد الشام، أم جذور عربية؟**

الجواب: إنها جذورٌ، وهجرة.

فقد قررنا أن بلاد الشام من جزيرة العرب، وقد تجذر العرب في نجد والحجاز واليمن، كما تجذروا في بلاد الشام، ثم كانت هجرة في الوطن الواحد من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق... ذلك أن أكثر النظريات قُرباً من المنطق السليم هي التي تجعل الكنعانيين أصليين في أرضهم ـ فلسطين وبلاد الشام ـ، وترى في مدنهم الأولى تطوراً طبيعياً لمستوطنات العصور الحجرية الأقدم.. ويظهر ذلك في مدنهم: أريحا، وجُبيل،

وأُغريت . . فأريحا مثلاً كانت موجودة خلال الألف الثامن قبل الميلاد . . مع أن نظرية الهجرة تفترض وقوعها في الألف الثالث قبل الميلاد .

وأمثلة الهجرة من العراق والشام إلى الحجاز كثيرة ، أشهرها هجرة إبراهيم - عليه السلام - من بابل إلى الشام ، ثم هجرة ابنه إسماعيل إلى مكة .

ويكاد المؤرخون يحصرون أسباب الهجرة في القضايا الاقتصادية ، ويفترضون ثبات الحال في بلاد الشام ، وتغيّر الأحوال الاقتصادية في الحجاز ونجد . . ولكن التاريخ يذكر أمثلة تخالف النظريات المشهورة .

فهجرة إبراهيم وإسماعيل لم تكن لأسباب اقتصادية ، وإنما كانت لأسباب دينيّة . ونقول للذين لا يؤمنون بالدين والوحي : لقد كانت لأسباب ثقافية فكريّة ، أو بسبب الاضطهاد الفكري ، وما زال الأدباء والمفكرون يهجرون بلادهم للأسباب الفكرية . وهجرة العرب المسلمين - في صدر الإسلام ، إلى بلاد الشام والعراق - إن صحّ أن نسميها هجرة ، كانت لأسباب دينيّة أو حضارية أو ثقافية . . لقد حملوا - أو حملهم الله - رسالة ، فأرادوا أن يوصلوها إلى العالم . وأما افتراض الجدب والجفاف ، وانحباس الغيث ، فهذا ليس مقصوراً على بلاد الحجاز ونجد . . فبلاد الشام تعتمد على الأمطار ، ويأتيها الجدب كما يأتي إلى غيرها . . .

### هـ - وهم عَرَبٌ وليسوا ساميّين:

وُضع اسم «الساميّين» على الشعوب التي زعم كاتب التوراة أنها انحدرت من صُلْب «سام بن نوح»[1] كما جاء فيما سمي «سفْر التكوين - الإصحاح العاشر» ، وهو

---

(1) لم يرد هذا في التوراة التي أنزلها الله على موسى . وإنما جاء في التوراة التي بدأ بكتابتها الكاهن عـزْرا ، وزاد عليها عددٌ من الكُتّاب على مرّ القرون ، وكان الغرض من وضعها أن يجد اليهود لأنفسهم مكانة اجتماعية ، ومكاناً جغرافياً ، وهم في حقيقة أصلهم جماعة من العبيد والمرتزقة واللصوص ، لا يجمعهم نسب ، ولا ينتمون إلى موطن واحد ، بل هم يجهلون أنسابهم ومواطنهم . هذا شأن اليهود في أول نشأتهم - في العهد الفارسي - وشأن اليهود في العصر الحديث . لقد اجتمع يهود العصر الحديث من 120 قطراً ، من أكثر من مئة وعشرين عرقاً . ذلك أن كلّ مجموعة يهودية في بلدٍ ما ، تشبه جماعة «علي بابا والأربعين حرامياً» . .

لقد كُتبت «التوراة» الكاذبة ، أو بدأت كتابتها في القرن الثالث قبل الميلاد ، ويفصل الكاتبين عن زمن موسى حوالي ألف سنة ، ولم يكن في شرع موسى أن يحفظ أتباعه التوراة ، فطواها النسيان مع مرور =

كذبة التكوين الكذبة العاشرة. وكان أول مَنْ وضع هذا الاسم بهذا المعنى: النمساوي «شلوتزر» عام 1781م، فشاعت منذ ذلك الحين، وأصبحت عند الأوروبيين علماً على هذه المجموعة من الشعوب، وسرت إلى المؤرخين العرب بطريق الاقتباس والتقليد. مع أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي أو إلى أُسس علمية عنصرية صحيحة، أو وجهة نظر لغوية.. وقد صنف كاتب التوراة الشعوب التي تدخل تحت هذه التسمية بناء على الهوى، ولذلك نجدهم قد أخرجوا من «الساميين» الكنعانيين والفينيقيين، مع أنهم كانوا يعلمون أن الكنعانيين هم العرب الأصليون سكان فلسطين الأوائل. ثم إن اصطلاح «الساميّة» يشير إلى «نسب»، وهذا يصعب إثباته. لذلك ذهب بعض الباحثين إلى تخطئة تسمية «السامية» وأكدوا أن تسمية «العربية» هي أكثر موافقة مع الواقع التاريخي والعلمي؛ لأن اسم العرب ورد منذ القديم في الكتابات البابلية والآشورية، ثم أطلق الفرس واليونان والرومان اسم «العرب» على سكان جزيرة العرب منذ الألف الأول قبل الميلاد.

وقد أجاد الدكتور جواد علي عرض هذه المسألة في كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام» حيث قال:

«إني سأطلق لفظة (عرب) على جميع سكان الجزيرة العربية، وبغض النظر عن الزمان الذي عاشوا فيه، والمكان الذي وُجدوا فيه، سواءٌ أكانوا سكنوا في الأقسام الشمالية، أم في الأقسام الوسطى من جزيرة العرب، أم في الأقسام الجنوبية منها؛ فكل هؤلاء في نظري (عرب)، و(عرب) علم لقوميّة خاصة ومصطلح ظهر متأخراً في النصف الأخير من الألف الأول قبل الميلاد[1] وتركّز وثبت بعد الميلاد بخاصة، وقبيل ظهور الإسلام على الأخص، وعلى هذا، فالذين عاشوا قبل الميلاد بقرون عديدة

---

= القرون.. وأنزل الله الكتب السماوية للهداية والتوجيه، وليس من شأنها ذكر هذه التفصيلات عن النسب. ومن العجيب أن المؤرخين انساقوا وراء أكاذيب التوراة، ولم يسألوا: من أين لهم هذه الأنساب التي يذكرونها، ويفصلهم عنها عشرات الألوف من السنين؟

(1) وقد نقلنا في فصل سابق أن اسم العرب ظهر في النقوش الآشورية في القرن التاسع قبل الميلاد. ولم يكن الآشوريون قد وضعوا الاسم، وإنما كان موجوداً قبل ذلك بزمن بعيد، فاستعملوا ما هو كائن، ولم يبتكروه، والله أعلم.

وبألوف السنين، هم عربٌ بالطبع وإن لم يُدْعوا عرباً[1]؛ لأن هذه الكلمة لم تكن معروفة بهذا المعنى في أيامهم، ولكنهم عرب أصالة، ومَنْ أحقّ وأجدر بأن نطلق عليه هذه اللفظة منهم؟

هم سكان الجزيرة وأصحابها الشرعيون، مهما اختلفت لهجاتهم وتعددت أماكنهم، هم الأصل، ومَنْ جاء بَعْدُ الفرع.

قال: «ولعلني لا أكون مخطئاً أو مبالغاً إذا قلت: إن الوقت قد حان، (لاستبدال) مصطلح سامي، وساميّة بـ(عربي) و«عربية»، فقد رأينا أن تلك التسمية تسميةٌ مصطنعة، تقوم على أساس التقارب في اللهجات، وعلى أساس فكرة الأنساب الواردة في التوراة، وهي فكرة لا تستند إلى أسس علمية، وإنما قامت على بواعث عاطفية، على أساس حبٍّ (الإسرائيليين) أو بغضهم لمن عرفوا من الشعوب. أما مصطلحنا «العرب» الذي يقابل «السامية»، فهو أقرب إلى العلم.. ففي العرب لهجات ولغات، كما أن بين «الساميّة» لهجات ولغات، وليس ببعيد ولا بغريب عن العلم والمنطق أن نعدَّ «الساميّة» «عربية»؛ لكونها ظهرت في جزيرة العرب، ونحن نعلم أن كثيراً من العلماء يرون أن جزيرة العرب هي مهد الساميين.

ولما كان العلماءُ قديماً وحديثاً قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت بها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم «جزيرة العرب» غير مراعين في ذلك تعدد المواضع

---

(1) وقد تنبّه إلى قدم وجود العرب، وإن لم يُسمَّوْا عرباً: ابن منظور في «لسان العرب»؛ حيث روى قول النبي ﷺ: «خمسة أنبياء من العرب، وهم: محمد، وإسماعيل، وشعيب، وصالح، وهود». قال: وهذا يدل على أن لسان العرب قديم. وهؤلاء الأنبياء كلهم كانوا يسكنون بلاد العرب، فكان شعيب وقومه بأرض مَدْين، وكان صالح وقومه بأرض ثمود، ينزلون بناحية الحجْر، وكان هودٌ وقومه عادٌ ينزلون الأحقاف من رمال اليمن، وكانوا أهل عَمَد، وكان إسماعيل بن إبراهيم، والنبي محمد ـ ﷺ ـ من سكان الحرم. وكلّ مَنْ سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها، فهم عَرَبٌ، يمنُهم ومعدّهم».

قلتُ: والمشهور أن هوداً وصالحاً كانا في زمن قبل إبراهيم.. وقوله: «وكلّ مَنْ سكن بلاد العرب ونطق بلسان أهلها.. إلخ» يشير إلى أن الأمَّة تجمع بين النسب والثقافة واللغة، وليست عرقاً فقط، وفي الأثر المرفوع: «ما عربية أحدكم من أم أو أب، إنما العربية اللسان»، وهذا ينقض النظرية (الساميّة).

واللغات[1] واللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة «العرب» إلى عالم الوجود، جاز لنا، بل وجب علينا الآن، أن نستبدل مصطلح «الساميّة» بمصطلح «العربية» (والصحيح أن يقال: أن نستبدل مصطلح العربية، بمصطلح السامية؛ لأن الباء تدخل على المتروك)، فنكون بذلك قد حققنا عاملين مهمين: عامل القرابة اللغوية، والأصل اللغوي، وعامل وحدة المكان، فسواءٌ ظهرت «الساميّة» في اليمن، أم في موقع آخر من جزيرة العرب، أم في العراق، فإن كلَّ هذه المواضع هي من «جزيرة العرب»؛ لأن البادية، والهلال الخصيب هما من الأقسام التي تُعدُّ اليوم[2] من بلاد العرب، ثقافة سكانها ثقافة عربية، ولغتهم السائدة هي اللغة العربية، وهي أوسع لغة ـ مما سموها السامية ـ باقية على وجه الأرض، ولذلك فهي اللغة الكبرى التي تمثل المجموعة اللغوية «الساميّة»، سواء أكانت قديمة أم حديثة، ويجدر بنا ألاّ نتحدث باسم «الساميّة» ـ في القرن العشرين، بل وفي القرن الحادي والعشرين، وإلى الأبد.

وإذا وافقنا على إقرار هذا الاصطلاح، نكون قد تقربنا نحو العلم، وابتعدنا عن الأساطير، أسطورة انحدار السامية من صلب رجل هو سام، وحريّ بالعلم أن يبني أحكامه على حقائق علمية، وأن يبتعد عن القصص والأساطير. [ تاريخ العرب قبل الإسلام جـ/ 287 ].

**قال أبو أحمد:** ولم يبق في جزيرة العرب ـ مهد الشعوب التي سموها: «الساميّة» ـ لم يبق إلا العرب، منذ سنة 636م عندما تمَّ تحرير بلاد الشام والعراق.. أما اليهود، فليسوا من «الجنس السامي» كما حددوا جغرافيته. وكلّ صلتهم

---

(1) يجب أن تكون لفظة «اللغات» هنا، مرادفة لكلمة «اللهجات»؛ لأن جميع اللهجات التي نطقت بها شعوب الجزيرة العربية ترجع إلى أصل واحد، مع اختلاف في لهجة النطق، أو بعض القواعد، وهي التي نسميها: اللهجات العربية. وقد استعمل العرب كلمة «لغة» في معنى «لهجة» أو «مذهب»، فقالوا: لغة الحجاز، ولغة تميم، وهما مذهبان في لغة واحدة، والله أعلم.

(2) بل تُعدُّ من بلاد العرب، ومن جزيرة العرب منذ أن خلق الله البحار والأنهار، وأحاطها ببلاد العرب فصارت جزيرة. وبلاد الشام والعراق من جزيرة العرب قديماً؛ لأنها من مهاد ـ جمع مَهْد ـ العرب. وأما قوله: «اليوم» فهو يوافق ما يقوله أعوان اليهود: بأن عروبة بلاد الشام كانت بعد الفتح العربي الإسلامي، وقد أثبتنا سابقاً كذب هذه المقولة.

«بالساميّة» المزعومة، أنهم سرقوا لهجة من لهجات العرب العتيقة، وادعوها لأنفسهم؛ ليضعوا أنفسهم بين الشعوب التي سكنت جزيرة العرب..

**قلت:** اليهود لم يكن لهم موطئ قدم في جزيرة العرب: وأقصد اليهود القدماء، ومن باب أولى أن يدخل اليهود الجُدد في هذا النفي. فاليهود الذين تجمعوا في فلسطين في القرن العشرين، جاؤوا من أوروبة وروسية، وأتحداهم أن يثبتوا أن أحداً من أجدادهم قد رأى فلسطين أو رأى الجزيرة العربية.

فلم يبق إذن إلا العرب، الذين غلب اسمهم على جميع الشعوب، والبطون والقبائل التي عاشت في الجزيرة قبل آلاف السنين، وقد ثبت أنَّ اللغة العربية القرآنية القرشية، هي الأمُّ والحاضنة والمتضمنة لجميع اللغات واللهجات العربية القديمة:

فاللهجات كلها عربية، والشعوب كلها عاشت في جزيرة العرب، فنقول: اللغات أو اللهجات العربية، ونقول: الشعوب العربية. فاللغة وحدها لا تكفي لنسبة شعب إلى أمة، فلا بدَّ مع ذلك من الوطن، والنسب على الأغلب.

• ولتوكيد هذه الفكرة، فكرة «العربية» بدلاً من «الساميّة» نقتبس ما قاله الدكتور محمد محفل في «مجلة التراث الدمشقية» في بحث بعنوان: «العربية لغةً وكتابة» العددان 71 ـ 72 تموز ـ 1998م حيث قال:

«من الأمور المقررة حالياً في الدراسات الجامعية والأكاديمية والخاصة بأصل الشعوب وألسنها: أنه لا يمكن أن نقيم علاقة مطلقة بين الأصل العرقي لشعب ما، وبين اللغة التي ينطق بها، ويمكننا أن نتيقن من ذلك بدلائل وشواهد قديمة وحديثة؛ إذ نجد أقواماً وشعوباً تهجر ألسنتها الأصلية لمصلحة ألسن أقوام أخرى؛ لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينيّة إلخ.. فمثلاً اللغة الحوريّة اندثرت في سورية بعد زوال سلطان الدولة الميتانية في نهاية القرن الرابع عشر (ق.م) لمصلحة لغة السكان الأصليين: الكنعانية، فالآرامية، وكذلك الفلستينيون، وهم من أقوام شعوب البحر[1]، فبعد استقرارهم على الشريط الكنعاني الجنوبي هجروا لغتهم لمصلحة اللغة الكنعانية.

---

(1) وَصْفُ الفلستينيين بأنهم من شعوب بحر إيجه من اختراعات التوراة، والأقوى من ذلك أنهم موجة عربية نزحت من إحدى مناطق الجزيرة العربية.

أما بالنسبة للأزمنة الحديثة والمعاصرة، فالشواهد على ذلك وافرة متنوعة. فالأقوام والشعوب التي تنطق اليوم بالإسبانية والبرتغالية في مختلف أنحاء أمريكا اللاتينية (الجنوبية) لا حصر لأصولها العرقية، ونحن نعلم أن الإسبانيين والبرتغاليين قد شرعوا في استعمار العالم الجديد ـ لاسيما القسم الجنوبي منه ـ منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وشاع استعمال هاتين اللغتين ذواتي الأصل اللاتيني بين سكان أمريكا الجنوبية إلى درجة كبيرة مما جعل بعض الباحثين يطلق اسم «أمريكا اللاتينية» على القسم الجنوبي من القارة الأمريكية، وما يُقال عن الشعوب الناطقة بالإسبانية والبرتغالية ينطبق على بعض الأقوام الأفريقية والآسيوية التي اعتمدت اللغة الفرنسية أو الإنجليزية لغة رائجة لها، مع احتفاظها أحياناً بلهجاتها القومية؛ كالهند مثلاً.

وتنتسب اللغة العربية الفصحى إلى تلك المجموعة اللغوية التي أطلق عليها تجاوزاً اسم: «اللغات الساميّة»، وهي اللغات واللهجات التي تكوّنت في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم بدءاً من الألف الرابع قبل الميلاد. وأول مَنْ نادى بالنظرية السامية بدءاً من عام 1781م الباحث النمساوي شلوتزر، معتمداً ـ لأسباب سياسية كهنوتية ـ على ما جاء في سفر التكوين/ الإصحاح العاشر. ومَنْ يقرأ هذا الإصحاح يلاحظ: أن **كاتب النص**[1] يقسم الشعوب والأقوام لاعتبارات سياسية، لا سيما موقعها من أهل التوراة: ومن الأمثلة على ذلك أنهم أخرجوا الكنعانيين من «الشجرة الساميّة»، مع العلم أن الدراسات المقارنة قد أظهرت الصلات الجوهرية والوشائج المطلقة التي تشدّ الكنعانية إلى غيرها من لغات المشرق العربي القديم، ثم جاء بعد شلوتزر من عمل على ترويج هذه التسمية، وفي مقدمتهم العالم الفرنسي (إرنست رنان)، بل راح يُفلسفها عرقياً لخدمة المدرسة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر.

---

(1) أصاب الباحث عندما قال: «كاتب النص»، وفيه تقرير أن ما يسمى التوراة من تأليف وكتابة اليهود، وليست التوراة المنزلة على موسى، وكتبه مَنْ كتبه بناءً على الهوى والحبّ والبغض، فملأه بالأساطير والخرافات، ولم يكتب تاريخاً. ومنْ أين لهم التاريخ وهم يكتبون تاريخ (نوح) الذي يبعد عنهم عشرات الألوف من السنين. وقد كتب النسّابون نسب النبي محمد حتى أوصلوه إلى عدنان، ثم قيل: كذب النسابون، فيما ذكروه بعد عدنان. وعدنان الجد الثاني والعشرون، فكيف بمَنْ يذكر أنساباً تصل إلى المئات أو تزيد؟!.

قال الباحث: نحن نرفض جازمين نظرية «التسمية الساميّة»؛ لأسباب علمية محضة، ودوافع سياسية وقوميّة:

**أولاً:** فمن الناحية العلمية، دحضت الدراسات العرقية والإناسية نظرية وحدة السلالة أو الأصل، بمعنى أن مختلف أفراد شعب ما ينحدرون من شيخ واحد.

**ثانياً:** التسمية ذات أصل توراتي، كما أن الاستشراق الغربي قد ابتدعها وروّجها لأسباب سياسية/ مذهبية لم تعد خافية على أحد، وذلك في أوج اندفاع الاستعمار الغربي، وقبل قرن من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، كما أننا اكتوينا برعونة سلاح سامية/ لا سامية. وإضافة لهذا وذاك لا نجد أثراً لهذه التسمية في مؤلفات علمائنا وشيوخنا الأوائل.

وقال عباس محمود العقاد في كتاب «أشتات مجتمعات» تحت عنوان: «قدم الكتاب بالعربية» ص22: «فالقول بأن اللغة الفينيقية عُرفت في جزيرة «كريت» قبل أربعة آلاف سنة[1] أو نحوها، هو أقرب الأقوال إلى التاريخ الصحيح، سواءٌ نظرنا إلى تاريخ الملاحة في الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، أو نظرنا إلى الأساطير المروية عن علاقة الجزيرة بمدينة صور، أو نظرنا إلى تفسيرات الحفريين[2]، ولم يظهر ما هو أولى منها بالقبول إلى الآن. أو نظرنا إلى الحروف الفينيقية التي اقتبسها اليونان، وأبناء الجُزر اليونانية جميعاً، بعد العصر المقدر لوجود الأميرة «أوربة»[3] والملك «مينوس» ببضعة قرون.

---

(1) توفي عباس محمود العقاد سنة 1964م.

(2) الحفريون: علماء الآثار.

(3) جاء في إلياذة هوميروس: أن الكريتيين كانوا من سلالة فينيقية (كنعانية)؛ لأن ملك الجزيرة كان ابن الحسناء «أوربة» أميرة مدينة صور التي كان يحكمها الملك فونيق. والمعروف أن الإلياذة مبنية على الأساطير. ولكن عباس العقاد يرى أن الأساطير خيال لا يخلو من الواقع، وخبر لا يخلو من الدلالة، يقول: وليس من المعقول أن تزعم الأساطير أن أميرة صور كانت ملكة على جزيرة كريت، إن لم يكن هناك علاقة من علاقات الملاحة والتجارة بين البلدين، ولم تكن تلك العلاقة في ذاكرة الرواة والشعراء، يتناقلونها خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، ولا يخلقونها ساعة روايتها، بلغة القصة أو لغة التاريخ.

وقال العقاد: نحن - إلى هنا - نذكر اللغة الفينيقية، والحروف الفينيقية عند الكلام على التاريخ قبل أربعة آلاف سنة (قبل سنة 1964م سنة وفاة العقاد)؛ لأننا نعقب بهذا الكلام على تعبيرات العلماء الأوربيين الذين يسمّون الشعوب «الساميّة» بتلك الأسماء، كلما ذكروا شيئاً عن تواريخها، في تلك الأزمنة الحالية.

وقال العقاد: أما الذي نؤثره، ونستند في إيثاره على الأصول المعقولة، فهو تغليب كلمة «العربية» على كلمة الفينيقية أو كلمة «الساميّة» على اختلاف مدلولاتها؛ حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديم.

أو على الأصح من تاريخ هذه اللهجات، كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين؛ لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرناً لهجات تتفرع على أصل واحد قديم.

فقد كان الفينيقيون يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب قبل انتقالهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين.

وقد كانت الحروف المنسوبة إليهم عربية على التحقيق، ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية في العراق أو فلسطين، ولو لم تكن عربية عامّة، ما وجدت بصورها الباقية إلى اليوم في الخط المسند الذي لا شكّ في قدمه، وقدم الحضارة اليمانية، بل العروبة اليمانية - من قبله -؛ فإن الأبجدية المشهورة باسم الفينيقية، والأبجدية التي كانت تكتب في بلاد اليمن، متشابهتان في أكثر الحروف، وما اختلف منها قليلاً، فهو اختلاف في الأداء دون الأصول، ومثله هذا الاختلاف الذي نشاهده في كتابة المشارقة وكتابه المغاربة لبعض الحروف العربية إلى اليوم.